

(٩)

تنبيهات على علو الحقيقة المحمدية العلية

- تقديم .
- التنبيه الأول .
- التنبيه الثاني .
- التنبيه الثالث .
- التنبيه الرابع .
- التنبيه الخامس .
- التنبيه السادس .
- التنبيه السابع .
- التنبيه الثامن .
- التنبيه التاسع .
- التنبيه العاشر .
- التنبيه الحادي عشر .
- التنبيه الثاني عشر .
- التنبيه الثالث عشر .
- التنبيه الرابع عشر .
- التنبيه الخامس عشر .
- التنبيه السادس عشر .
- التنبيه السابع عشر .
- التنبيه الثامن عشر .
- التنبيه التاسع عشر .
- التنبيه العشرون .
- التنبيه الحادي والعشرون .

هذا الكتاب نقلته من مكتبة الأزهر الشريف .

وجاء في فهرست المكتبة ما يلي : [«التنبيهات لابن عربي» أولها
بعد الديباجة :

«فإني ذاكر تنبيهات دالات على علو الحقيقة المحمدية» .

نسخة في مجلد ، بقلم نسخ بخط حسن محمد أبو السعود سنة
١١٦٥ هـ في ٨ ورقات :

رقم خاص : ٨٥٤ حليم ، ورقم عام : ٣٣٤٨٨ [تصوف] .

ومعنى كلمة «حقيقة» كما في القاموس المحيط :

«والحقيقة ضد المجاز .

ما يحق لك أن تحميه .

والراية» [ا هـ .

وجاء في آخر المخطوطة ما يلي :

«وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك : حادي عشر شهر
ذي الحجة ١١٦٥ هـ على يد الفقير إلى مولاه الودود الرحمن : حسن
ابن محمد بن أبي السعود بنان ، المرتلي ، البخاري : غفر الله له
ولوالديه ولمشايقه وإخوانه ولوالديهم ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات ،
والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، ولمن قرأ فيه ،
وطالعه ، ولمن سمعه ونظر فيه ، ودعا لهم بالمغفرة ، آمين ، آمين ،
آمين» اهـ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

أحمد الله تعالى على ما أولانا من نعم .
وأستعينه وأستمدده ، حتى لا يقطع عنا رفده ، فإن المقطوع من
قطعه الله تعالى .

وأصلي وأسلم على السيد المسود على العالمين من ربّ العزة
تبارك وتعالى ، الذي أرسله ﴿رحمة للعالمين﴾ ﴿بشيراً ونذيراً﴾ صلى الله
عليه وآله وصحبه وسلم .

وبعد :

إنني - بحمد الله تعالى - من خلال هذه المقدمات - أحاول بقدر
إمكاني - أن أضع النقط على الحروف : دفاعاً عن الإسلام ، وإظهاراً
لما أخفي عن عمد .

أو بالأحرى : كشفاً لما تعمد المبطلون المضللون إخفاءه - وليس
دفاعاً عن شخص من الأشخاص ، أو مذهب من المذاهب ، فإن
الدفاع عن الأشخاص والمذاهب : يكون فيه حق وباطل ، وليس هذا
مذهبي - والله الحمد والمنة - .

ونظرة إلى واقع الأمر نعرف منها : إن المستشرقين ، وأصحاب

المذاهب الهدامة ، كالاسماعيلية ، والرافضة ، والنصيرية ، وغيرهم : لعبت أيديهم في كتب الأفاضل من هذه الأمة ، وخصوصاً كتب السادة الصوفية .

على إنه من المحقق أيضاً : إن الكتب التي كتبها السادة الصوفية بأيديهم : أغلبها ضاع فيما ضاع من تراث المسلمين .

ثم نشبت - بين المسلمين - معارك مفتعلة ، وتعيدي قوم - من المسلمين أيضاً - طور الحقيقة عن جهل بما جرى أو يجري في الخفاء - لإيقاظ الفتنة ، وجعلوا من التصوف : مذهباً مخالفاً للشرعية ، فهل الأمر كذلك ؟؟؟

إذا رجعنا للحديث الشريف ، الذي قال فيه رسول الله (ص) لما سئل عن : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .

قال عن الإحسان : « أن تعبد الله كأنك تراه » .

ومعنى : « كأنك تراه » : أن تعتقد اعتقاداً جازماً - يصل في جزمه حد رؤية العين - إنك في كل حين ووقت في حضرة الله تعالى .

والمعنى الذي يعطيه قوله (ص) : « فإن لم تكن تراه فإنه يراك » ، وهو جزء من القسم الثالث من أقسام الحديث الشريف : هو « عمل الصوفية » (رضي الله عنهم) ، وعنا بهم .

وإذا قلت : « الصوفية » فلا أقصد - بالقطع - ما عليه بعض الناس اليوم .

وإنما أقصد الملتزمين منهم بمنهج الله تبارك وتعالى .

ومن شذ ، فإنما يشذ إلى جهنم .

على أننا - في هذه المقدمة على صغرها - سنعرض كلام بعض السادة المشايخ الذين يقتدي بهم في هذا الفن المبارك ، حتى نوضح

للناس عقائدهم التي كانوا عليها (رضي الله عنهم وأرضاهم)، وظلوا عليها حتى لقوا ربهم تبارك وتعالى ، وليس في واحد منهم شعرة ترف لغير الله تعالى .

قال الإمام الشاطبي (رحمه الله) في كتابه «الاعتصام» ص ٩٨ ج ١ تحقيق محمد رشيد رضا :

« . . . وقال أبو القاسم النصر اباذي : أصل التصوف : ملازمة للكتاب والسنة ، وترك البدع والأهواء ، وتعظيم حرمان المشايخ ، ورؤية أعداء الخلق ، والمداومة على الأوراد ، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات . »

ثم قال (رحمه الله تعالى) :

« . . . وكلامهم في هذا الباب يطول ، وقد نقلنا عن جملة ممن أشتهر منهم ، ينيف على الأربعين شيخاً : جميعهم يشيرون - أو يصرحون - بأن الابتداع : ضلال ، والسلوك عليه نيه ، واستعماله : رمي في عمية ، وإنه مناف لطلب النجاة ، وصاحبة غير محفوظ ، وموكول إلى نفسه ، ومطروود عن نيل الحكمة ، وأن الصوفية الذين نسبت إليهم الطريقة مجمعون على تعظيم الشريعة ، مقيمون على متابعة السنة ، غير مخلين بشيء من آدابها ، أبعد الناس عن البدع وأهلها . »

ولذلك لا تجد منهم من ينسب إلى فرقة من الفرق الضالة ، ولا من يميل إلى خلاف السنة .

وأكثر من ذكر منهم : علماء ، وفقهاء ، ومحدثون ، وممن يؤخذ عنه الدين : أصولاً وفروعاً .

ومن لم يكن كذلك ، فلا بد له من أن يكون فقيهاً في دينه بمقدار كفايته . . . » ، إلى آخر ما قال (رحمه الله تعالى) .

وقال الإمام الشعراني (رحمه الله تعالى) ، في كتابه «الأنوار

القدسية في معرفة قواعد الصوفية» :

« . . . وعلوم أهل الله إنما هي علوم رسول الله (ص) ، لأنهم متقيدون بالشرعية ، لا يخرجون عنها إلى رأي أو قياس ، إلا في النادر» اهـ .

وقال (رضي الله عنه) :

« . . . وأجمعوا - أي أهل طريق الله - على أنه لا يصح - ممن ثبت له قدم في الطريق - : بغض ، ولا شحناء ، ولا حسد ، ولا بغى ، ولا غيبة ، ولا نميمة ، ولا حقد ، ولا مكر ، ولا رياء ، ولا نفاق .
فإن فعل ذلك فهو عدو لله» اهـ .

وقال أيضاً (رحمه الله) :

« . . . إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر .

فمن لم يكن من أكابر العلماء : لا يفلح فيها ، لأن له في كل حركة وسكون ميزاناً شرعياً ، يجب عليه علمه قبل الفعل» اهـ .

وقال أيضاً (رحمه الله ورضي عنه) :

« . . . ومن شأن القوم : ألا يتعدوا علوم شريعة النبي (ص) ، ولا يتدينوا برأي لا يشهد له ظاهر الشريعة ، كما قال أبو القاسم الجنيد (رضي الله عنه) : «علمنا هذا مشيد بالكتاب والسنة» اهـ .

وقال أيضاً :

« . . . كان السيد إبراهيم الدسوقي يقول :

أقبل يا ولدي على طريق القوم ، فإنها هي الطريق التي درج عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، لكن بعد معرفتك ما أوجب الشرع عليك معرفته» اهـ .

وفي كتاب «النهج الحميد» للسيد إبراهيم الحسني النيجيري ص ٨٠ عن الشيخ أحمد التجاني مؤسس الطريقة التجانية أنه قال :

« . . . إذا سمعتم عني شيئاً ، فزنوه بميزان الشرع ، فما وافق فخذوه وما خالف فاتركوه » اهـ .

ويقول ابن عربي (رحمه الله تعالى) ، في الرسالة التي تقدم لها الآن : عند كلامه على التنبيه الثالث ، ما نصه :

« . . . فالزم الاقتداء به ، والاتباع له (ص) ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك (ص) .

فضع قدمك على قدمه : إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلى ، والشهود الكامل في المكانة الزلفي » اهـ .

وفي «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، عند كلامه عن سيدي أبي يزيد البسطامي (رضي الله عنه) قال :

« . . . وكان يقول : لو نظرتم إلى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة » اهـ .

وقال ابن عربي في «التنزلات الموصلية» :

« . . . فالسعادة كل السعادة في المحافظة على الأمور الشرعية ، والقيام بالحدود الوضعية^(١) » .

وقال في «التنزلات الموصلية» أيضاً يخاطب الملوك :

« . . . واعلم أن الله تعالى : ما جعلك ملكاً على خلقه ، وأقامك بين الباطل والحق في مقام حقه لقصور قدرته عن إصلاح الخلق وتدبيره ، وتصريفه في إظهار الملك وتسخيره .

(١) يعني : التي وضعها لك الحق تبارك وتعالى لافادتك بها ، فلا تتعدها .

وإنما ضرب لك بك مثلاً في عالم الفناء ، لتستدل به على ترتيب الملك الإلهي في دار البقاء .

ولهذا جعل هذه الدنيا عرضاً زائلاً ، وغرضاً مائلاً ، وجعلك عنها راحلاً .

فهي جسر منصوب على بحر الهلاك ، وميدان موضوع لمصارع الهلاك .

كم أبادت من القرون الماضية ، والأمم الخالية ، والجبابرة المتألهين الطاغين ، والحكماء ، والفضلاء ، والأدباء ، والعقلاء ، والأنبياء ، والأولياء ، فهل ترى لهم من باقية ؟

وأنت أيها الملك : على قارعة مذهبهم ، وعن قريب تلحق بهم .

فإما إلى نعيم في دار الخلود بجوار الصمد ، وإما إلى عذاب الأبد .

فاجهد في تحصيل أدوات النجاة والبقاء ، فإن الدنيا متاع ، والآخرة خير لمن اتقى ، والعارية مردودة ، وأعمالك بين يديك موجودة غير مفقودة ، في كتاب : لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ، ولا علانية ولا سريرة» اهـ .

وها هوذا شيخ الصوفية ، وأحد كبار مؤسسي الطريق - ذو النون المصري (رحمه الله تعالى) - يقول عن عباد زمانه ، وقد رأى فيهم شيئاً من الخلل :

« . . . قد غلب على العباد والنسك والقراء - في هذا الزمن - التهاون بالذنوب ، حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم ، وحجبوا عن شهود عيوبهم ، فهلكوا وهم لا يشعرون :

أقبلوا على أكل الحرام ، وتركوا الحلال ، ورضوا من العمل بالعلم ، يستحيي أحدهم أن يقول - فيما لا يعلم - لا أعلم .

هم عبيد الدنيا ، لا علماء الشريعة ، إذ لو عملوا بالشريعة لمنعتهم عن القبائح .

إن سألوا : ألحوا ، وإن سئلوا : شحوا .

لبسوا الثياب على قلوب الذئاب .

اتخذوا مساجد الله التي يذكر فيها اسمه : لرفع أصواتهم باللغو والجدال ، والقييل والقال ، واتخذوا العلم شبكة يصطادون بها الدنيا ، فأياكم ومجالستهم^(١) .

هل بين التصوف والفلسفة صلة كما يقولون ؟ :

اعلم أيها الأخ المسلم الحريص على دينك : إن الفلسفة كفر محض .

وأن التصوف إيمان محض .

وهما على طرفي نقيض : لا يلتقيان أبداً .

وإن الذين خلطوا بين التصوف والفلسفة من المسلمين ، إنما تقيدوا بعقلية الفلاسفة من أهل أوروبا .

وهائذا سائق إليك مثلاً واضحاً : خطاباً أرسله «ابن سينا» شيخ الفلاسفة في عصره ومصره ، إلى «شيبان الراعي» : من كبار الصوفية (رضي الله عنه) ، منه تعرف الفرق بين المنهجين : منهج الفلسفة الذي

(١) راجع المخطط التوفيقية عند ترجمة «ذي التون المصري» .

وبربك أيها القاري ، هل يقول هذا الكلام إلا من شرب لبن الشريعة حتى الثمالة ؟ وتخلقوا بأخلاق رسول الله (ص) ، فكانت شعارهم يدثارهم ؟

ذكره له ابن سينا في خطابه ، ومنهج التصوف الذي أيد به شيبان (رحمه الله ورضي عنه) :

في الخطط التوفيقية : عند الكلام عن الإمام الشافعي (رضي الله عنه) ص ٧١ من الجزء الخامس ، من طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ما نصه :

«وكتب له أبو علي بن سينا :

«الحكمة صناعة نظرية ، يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود بأسره في نفسه ، وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه ، وتشرف بذلك نفسه ، ويستكمل ويصير عالماً معقولاً ، مضاهياً للعالم الموجود ، ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة ، وذلك بحسب الطاقة الإنسانية .

والعقل له مراتب ، وأسماء بحسب تلك المراتب .

فالأول هو: الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية .

وحده : غريزة يتهيأ بها لإدراك العلوم النظرية .

ثم يترقى في معرفة المستحيل ، والممكن ، والواجب .

ثم ينتهي إلى حد يجمع الشهوات واللذات الحسية ، فتتجلى له صور الملائكة إذا تحلى بحليتها ، فيعاین الحقائق الدائمة ، ويعلم بذاته وموضوعه : لماذا خلق» اهـ .

فأجابه شيبان بما نصه :

«من الأبله الأمي ، إلى الحبر أبي علي بن سينا :

وصل كتابك ، مشتملاً على ماهية العقل وحقيقته ، وقد ألفيته وافياً بمقصودك ، لا بمقصودي ، ولست ممن قنع عن الدر بالصدف ،

واقنتي علوماً لم يؤمر بها ، فاستغرقت فيها همته ، حتى زلت به قدم
الغرور في مهواة التلف .

وكل ما تذروه رياح الموت ، فالهمة تقتضي تركه ، والسلام»
اهـ .

بربك أيها الأخ المسلم هل يرد هذا الرد إلا رجل علمه الله من
لدنه علماً ، فتح الله اغلاق قلبه ، ونور دخائل بصيرته ، وتصوف حتى
استوى ظاهره وباطنه وانجلت عين بصيرته .

الحلول والاتحاد :

الحلول والاتحاد : لا يقول بهما مسلم أبداً ، ولا نعرف أحداً
من أهل الله قال بهما - وقد سبق في مقدمات كتبناها - إن قلنا : إن
هؤلاء القوم - الصوفية (رضي الله عنهم وعنا بهم) - وضعت عليهم أقوال
لم يقولوها ، ولا تصدر منهم ، وإنما وضعها عليهم اليهود والنصارى ،
ومن لف لفهم ، ممن تلبست عقولهم بخطيئات العقول الأوروبية : ظناً
منهم أن ذلك يسوي بين الإسلام - في عقيدته الطاهرة النقية - واليهودية
والنصرانية اللتان اخترعهما الشيطان خدمة للضلال والافساد .

يقول ابن عربي (رحمه الله تعالى) ، في كتابه «التنزيلات الليلية»
ص ٥٣ :

«لا حاجة لنا في إقامة دليل على إثبات الوحدانية ، فإن
المشاهد : تمنع الجدال في الله وفي وحدانيته» .

وقال ص ٥٧ :

«... بل المخلوق قاصر عن إدراك نفسه ، فكيف له بالظفر
بإدراك منشئه من حيث هو منشيء له ، فأحرى - من حيث ذاته تعالى
وتقدس علواً كبيراً - لا يعرفه على حقه عارف ، ولا يصفه واصف»
اهـ .

وقال (رضي الله عنه) في «التنزيلات الموصلية» - في «فصل أهل الأسرة» - عن الإستواء على العرش :

«إنه ليس كإستواء الأكوان ، وإنه لو جلس عليه جلوساً - كما تدعيه المشبهة - لحده المقدار ، وقام به الافتقار إلى مخصص مختار ، لا تحيط به الجهات والأقطار .

والافتقار على الله محال .

والاستقرار - بمعنى الجلوس - عليه محال ، ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال .

وما بقي لكم سوى أمرين ، مربوطين بحقيقتين :

الأمر الواحد : أن يصرف لفظ هذا الاستواء إلى الإستيلاء .

والأمر الآخر : أن تؤمن بها كما جاءت ، من غير تشبيه ولا تكييف ، ونصرف العلم بها إليه ، فإنه أسلم بالمؤمنين عند قدومهم عليه .

ولهذا يختم المنزه تأويله بقوله : «والله أعلم» ، لمعرفته بأن التنزيه قائم بذاته» اهـ .

وقال في كتابه «مرآة العارفين في ملتصق زين الدين» :

« . . . وذاته ذاته ، بلا اتحاد ولا حلول فيه ، ولا صيرورته هو ، فإنه محال ، لأن الاتحاد يحصل من الوجودين ، وكذلك الحلول ، وما ثم إلا وجود واحد ، والأشياء موجودة به ، معدومة بنفسها^(١) فكيف يتحد به من هو موجود به ، معدوم بنفسه» اهـ .

ثم قال :

(١) قوله معدومة بنفسها : أي أنها هي في الأصل معدومة ، لا أصل لها ولا وجود ، فإذا أراد الباري - سبحانه وتعالى - إيجادها : أوجدها من العدم .

«ولو تسمع الاتحاد من أهل الله ، أو تجده في مصنفاتهم ، فلا تفهم منه ما فهمت من الاتحاد الذي قلنا : إنه من الوجودين^(١) ، إذ ليس مرادهم بالاتحاد : إلا شهود الوجود الحق المطلق : الذي «الكل به موجود» بالحق^(٢) فيتحد به الكل من حيث كل شيء موجود به معدوم بنفسه ، لا من حيث أن له وجوداً خاصاً به^(٣) ، فإنه محال» اهـ .

ويفسره قوله في كتابه «الأزل» :

«والباري سبحانه : لا يشترك في شيء مع خلقه» اهـ .

وبهذه المناسبة نذكر ما قاله ابن تيمية في رسالته «الرد الأقوم على ما في فصوص الحكم» «طبع مطبعة السنة المحمدية» مع مجموعة رسائل طبعت سنة ١٣٦٨ هـ بتحقيق حامد الفقي ص ٦٤ ، والمطبوعة على نفقة / محمد نصيف من أعيان جدة ، عن مسألة الحلول والاتحاد ، لنبصر أنفسنا بمجريات الأمور ، ونرد الناس - ما استطعنا - إلى الحق ، ولن نعلق عليه بشيء من عند أنفسنا ، لأن الأمر واضح لا يحتاج إلى تعليق ، بل سنترك للعقلاء الأمر يحكمون فيه بما يرضي الله تعالى .

قال ابن تيمية (رحمه الله تعالى) :

«فصل : قد يقع بعض من غلب عليه الحال في نوع من الحلول . أو الاتحاد ، فإن الاتحاد فيه حق وباطل .

(١) الوجودان هما : الوجود الحق ، الذي لا يقبل الفناء ، وهو الله سبحانه وتعالى . والوجود الآخر الكائن بإيجاد الله له .

(٢) الحق له معان كثيرة منها : الأمر المقضي ، والملك كذا في القاموس .

(٣) الضمير في «به» راجع إلى «كل شيء» والمعنى : أن كل شيء موجود بالله ، وليس له وجود من ذاته .

لكن لما ورد عليه ما غيب عقله ، أو أفناه عما سوى محبوبه ، ولم يكن ذلك بذنب منه : كان معذوراً ، غير معاقب عليه ، ما دام غير عاقل ، فإن «القلم رفع عن المجنون»^(١) حتى يفيق .

وإن كان مخطئاً في ذلك : كان داخلاً في قوله تعالى : ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ وقال : ﴿ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به﴾ .

وهذا كما يحكي : أن رجلين كان أحدهما يحب الآخر ، فوقع المحبوب في أليم ، فألقى الآخر نفسه خلفه ، فقال : أنا وقعت ، فما الذي أوقعك ؟

فقال :

غبت بسك عني فظننت أنك أني

فهذه الحال تعتري كثيراً من أهل المحبة والإرادة في جانب الحق ، وفي غير جانبه .

وإن كان فيها نقص وخطأ^(٢) فإنه يغيب بمحبوبه : عن حبه ،

(١) لأن الحال غلب عليه فافقده وعيه ، ولذلك قال السيد أحمد البدوي (رضي الله عنه) : عن نفسه وعشقه لربه :

ولم أر في العشقا مثلي ، لأنني
تلذ لي البلوى ، ويطربني العذل
سوى معشر : حلوا النطاق ومزقوا الـ
حجاب ، فلا فرض عليهم ولا نفل
وقد نسبوا للجنون جماعة
فقلت لهم بيتاً لمسمعهم يحلو
مجانين إلا أن سر جنونهم
عزيز ، على أبوابهم يسجد العقل

(٢) هكذا في المطبوعة على اعتبار أن : «كان» بمعنى «وجد» .

وعن نفسه ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن عرفانه ، وبمشهوده
عن شهوده ، وبموجوده عن وجوده .

فلا يشعر حينئذ بالتمييز ، ولا بوجوده ، فقد يقول في هذا
الحال : «أنا الحق» أو «سبحاني» أو «ما في الجبة إلا الله» ونحو
ذلك ، وهو سكران بوجد المحبة ، الذي هو لذة وسرور ، بلا تمييز .
وذلك السكران : يطوي ، ولا يروي ، إذا لم يكن سكره بسبب
محظور .

فأما إن كان السبب محظوراً : لم يكن السكران معذوراً .
وأما أهل الحلول ، فمنهم من يغلب عليه شهود القلب وتجليه ،
حتى يتوهم أنه رأى الله بعيني رأسه .
ولهذا ذكره طائفة من العباد الأصحاء : «غلطاً منهم» اهـ
بحروفه .

وهنا قال حامد الفقي في تعليقه على هذا - لأنه هو طابع
الرسالة - مما قال :

«... وغفر الله لشيخ الإسلام ، فإذا كان يعتذر عن هذه
المقالات البالغة في الفجور والكفر إلى هذه القحة والاستهتار ، فما
بale يرد على ابن عربي وإخوانه الشياطين» .

إلى أن قال : «... ولكن شيخ الإسلام - (عز الله لنا وله) - حملة
تمحل الأعذار : إن قائل هذا القول : شيوخ معظمون عند الجمهور ،
من أمثال أبي يزيد البسطامي ، وأبي سعيد الخراز ، وذو النون
المصري ، ممن يحسن بهم الشيخ الظن» إلى آخر ما قال .

ولا أقول لك أيها القاريء : من المحتم عليك أن تصدقني ،
ولكن أقول لك إقرأ الرسالة بنفسك لترى مبلغ الضلال والتيه الذي سار
فيه قوم من غير دليل .

عود على بدء :

يقول ابن عربي في رسالته : «شجرة الكون» عن الله تبارك وتعالى :

«... فهو مقدس في وجوده عن ملامسة ما أوجده ، ومجانبة ومواصلته ، لأنه كان ولا كون ، وهو الآن كما كان : لا يتصل بكون ، ولا ينفصل عن كون^(١) ، لأن الوصل والفصل من صفات الحدوث ، لا من صفات القدم ، لأن الاتصال والإنفصال يلزم منه الانتقال والارتحال ، والتحول والزوال ، والتغير والاستبدال ، هذا كله من صفات النقص ، لا من صفات الكمال ، فسبحانه : سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً» اهـ .

ومن الأشياء التي دسوها على ابن عربي (رحمه الله تعالى) : «إنه قال بإيمان فرعون :

ولو نظرت بعين الحق لوجدت أن الرجل لا يمكن أن يقول مثل هذا أبداً ، لأن قائله يكذب رب العالمين في كتابه العزيز ، إذ حكم عليه بكفره وخلوده في النار .

ولا يضاد القرآن إلا من كان محباً لفرعون وقومه ، ومن أحب قوماً حشر معهم ، كما في الحديث الصحيح .

يقول ابن عابدين (رحمه الله تعالى) في حاشيته :

«مطلب : اجمعوا على كفر فرعون ، وقد صرح ابن عربي في بعض كتبه ، بأن فرعون مع هامان وقارون في النار» اهـ .

وابن عابدين (رحمه الله تعالى) من كبار فقهاء الأحناف ، وإن كان من المتأخرين ، ولا يمكن أن يقول هذا الكلام جزافاً .

(١) قوله «لا يتصل بكون ولا ينفصل عن كون» تفسير لقوله «وهو الآن كما كان» .

قضية الحلاج :

وقد اتهموا بهذا القول - الحلول والاتحاد - الحلاج أيضاً ، (رحمه الله ورضي عنه) .

ولكن إذا راجعت قضيته بعقل المسلم : وجدت أنها قضية سياسية : لحماً ودماً :

قال عنه ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» ج ١ ص ١٨٤ :

«... كان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس : وزير المقتدر ، بحضرة القاضي أبي عمر ، فأفتي ، بحل دمه ، وكتب خطه بذلك ، وكتب معه من حضر المجلس من الفقهاء» .

فقال لهم الحلاج :

«ظهري حمي ، ودمي حرام ، وما يحل لكم : أن تقولوا علي بما يبيحه ، وأنا اعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة ، وتفضيل الأئمة الأربعة : الخلفاء الراشدين ، وبقية العشرة من الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين) ، ولي كتب في السنة ، موجودة مع الوراقين ، فالله الله في دمي» .

ولم يزل يردد هذا القول ، وهم يكتبون خطوطهم ، إلى أن استكملوا ما احتاجوا إليه ، ونهضوا من المجلس ، وحمل الحلاج إلى السجن» اهـ منه .

وأما طريقة القتل والمحاكمة ، فإنها تدل على أن من قتلوه : خالفوا الإسلام كل المخالفة ، لأنه لو فرض : إنه كان مرتدّاً - كما زعموا - لكان حكمه ما حكم به رسول الله (ص) على المرتد - وليس لأحد بعده أن يحدث أحكاماً من عنده مطلقاً - أن «يضرب بالسيف» ، ويؤري في مقابر أهل الشرك ، ولا يصلي عليه ، ولا يكفن .

ولكن ما حدث معه - أي العلاج - بعد القتل : أنهم صلبوه ، ثم قطعوه إرباً إرباً ، ثم أحرقوه وذروه في النهر .

أما قبل القتل ، فإنهم جلدوه ألف سوط ، ثم ألفاً أخرى ، وفعلوا فيه الأفاعيل ، وهو حي .

وهذا يدل على حقد دفين في قلوب أعدائه .

وقد نهى النبي (ص) عن التمثيل بقتلى المشركين وغيرهم أيما نهى ، فما بالك برجل قال لهم : «اعتقادي الإسلام ، ومذهبي السنة» .

ومن هذا المنطلق الذي ذكرته لك أيها القارئ الكريم : يجب أن تعرف : أنه يجب علينا أن نعيد قراءة تاريخ هؤلاء الأفاضل ، من منطلق الحق الصرف ، الذي لا محاباة فيه لأحد من الناس ، كائناً من كان ، حتى نهتدي إلى ما يحب الله ورسوله ، وندع أضاليل المستشرقين وأتباعهم من دعاة التغريب والكفر .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

هو العاصم من الزلل ، والواقى من الخطل .

والصلاة والسلام على صاحب الحق الأبلج والنور الأكمل .

صلى الله عليه وآله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين ، وسلم .

عبد الرحمن حسن محمود

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، خصوصاً على نبيه
ورسوله وولايه وصفيه المجتبي ، الذي كلمه^(١) وأشهده وقرّيه ، حتى
كان منه^(٢) كقاب قوسين أو أدنى^(٣) : محمد المختص بمظهر
الربوبية^(٤) العظمى (ص) وعليهم : صلاة دائمة أبداً بلا انقطاع ولا
انتهاء .

أما بعد :

(١) ليلة الإسراء والمعراج ، وحديث فرض الصلاة ونرده على سيدنا موسى شاهد على ذلك .

(٢) مكانة لا مكاناً ، وكلمه ربه تعالى ، ففي حديث الإسراء الذي رواه ابن أبي حاتم ، قال (ص) : «فقال الله لي يا محمد : إني يوم خلقت السماوات والأرض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة ، فقم بها أنت وأمتك» .

(٣) كناية عن شدة القرب ، وإنه (ع) : أقرب المقربين إليه .

(٤) ومظهر الربوبية هو : التربية والتأديب ، قال (ص) : «أدبني ربي فأحسن تأديبي» ولم يقل : «أدبني الله» لأن كلمة الرب فيها معنى التربية ، ومنه قوله تعالى - رب العالمين - أي الذي يربّيهم ، ومظهر الربوبية : من تظهر فيه آثار التربية ، وهم كل المخلوق : كالرزق ، والحفظ ، والعناية ، وما إلى ذلك .

واختصاص الله تعالى حبيبه (ص) : أعلى وأرقى من ذلك كله .

فإني ذاك تنبيهات ، دالات على علو مرتبة الحقيقة المحمدية ،
وتوحيده بها ، مما كوشف به بعض محققي وراثه ، لتحيا قلوبنا
بفهمها ، وتتشف أسماعنا بإدراكها ، وتسعد ألسنتنا بذكرها ، صلى الله
على صاحبها :

التنبيه الأول

إعلم أن الحقيقة المحمدية مسماة بالعقل الأول ، وبالقلم الذي
علم الله تعالى به الخلق كلهم ، وبالحق الذي قامت به السماوات
والأرض ، وبالباء .

وأحسن أسماء هذه الأسماء : [الحقيقة المحمدية] : الباء^(١) ،
من حيث ظهور الأشياء بها .

وإنما ظهرت الأشياء بالباء ، إن الحق تعالى : واحد ، فلا يصدر
عنه إلا واحد ، فكان الباء : أول شيء صدر عن الحق تعالى ، فهي :
ألف على الحقيقة ، وحداني من جهة ذاتها ، وهي باء من جهة
مرتبتها ، لأنها ظهرت في المرتبة الثانية من الوجود ، فلهاذا سميت :
باء ، لتمتاز عن الحق تعالى ، ويبقى اسم الألف له تعالى .

فالباء : أثنيان من جهة المرتبة ، فهي عدد ، والأشياء عدد ،
فصار العدد من العدد : يعني من الباء ، وبقي الواحد الأحد ، في
أحديته مقدساً منزهاً .

ثم أعلم أن الباء زائدة في حضرة الفعل ، فلهاذا كانت النقطة
التي تحتها بين العالم الكوني وبينها : إشارة إلى الأحدية ، فلو كان
الأثر للباء ، لم تكن هذه النقطة ، إذ الأثر لها لا للباء ، والله تعالى
أعلم .

(١) بدل جملة من جملة .

التبیه الثاني

اعلم أن مرتبة الإنسان الكامل ، الذي لا أكمل منه : من العالم : مرتبة النفس الناطقة من الإنسان^(١) ، وهو سيدنا محمد (ص) : الذي هو الغاية المطلوبة من العالم .

ومرتبة الكمال التنازلي^(٢) عن مرتبته : بمنزلة القوى الروحانية من الإنسان^(٣) ، وهم الأنبياء (صلى الله عليهم وسلم) .

ومرتبة من نزل عن مرتبتهم^(٤) بمنزلة : القوى الحسية من الإنسان في الشكل ، وهو من جملة الحيوان ، فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان ، الذي يعطي النمو والاحساس .

وإنما قلنا : إنه (ص) : « النفس الناطقة » : لما أعطاه الكشف ، ولقوله (ص) : « أنا سيد الناس »^(٥) والعالم من الناس ، فلأنه الإنسان الكبير في الجرم ، المتقدم^(٦) في التسوية : لتظهر عنه^(٧) صورة نشأته

(١) يشير إلى أنه بالنفس الناطقة يتميز الإنسان من الحيوان ، وكذلك هو (ص) بالنسبة للعالم بمنزلة النفس الناطقة بالنسبة للخلق ، والله أعلم .
(٢) لأنه أعلى مقامات الكمال ، فكل من أوتي شيئاً من الكمال فهو أقل منه : مرتباً ترتيباً تنازلياً ، لا تصاعدياً ، لأنه لو كان ترتيباً تصاعدياً لكان هناك من هو أعلى منه ، وهذا غير موجود ، فهو الحائز (ص) ذروة الكمال الخُلقي والخلق - أي خلقه الله تعالى أكمل المخلوقين - . (ص) .

(٣) لأن الإنسان بلا روح : جسد ميت ، لا حركة له .

(٤) وهم الأولياء والصالحون من عباد الله تعالى .

(٥) في الحديث الطويل الذي رواه الإمام أحمد ، والترمذي وغيرهما .

(٦) في المخطوطة : « المتقدمة » .

(٧) هناك فرق بين « عنه » و « منه » ومعنى « عنه » أي عن طريقه ، تقول مثلاً : أخذت هذا العلم عن فلان ، أي بواسطته ، فهو ممد وممد ، أخذ من ناحية ، معط من ناحية أخرى .

(ص) ، كما سوى الله تعالى جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه(*) ، ثم نفخ فيه من روحه : روحاً كان به إنساناً تماماً .

والملائكة من العالم كالصورة الظاهرة في خيال الإنسان . وكذلك الجن .

فليس العالم إنساناً إلا بوجود الإنسان ، الذي هو «نفسه الناطقة» .

كما أن نشأة الإنسان : لا يكون إنساناً إلا بنفسه الناطقة ، ولا تكون هذه النفس الناطقة من الإنسان كاملة ، إلا بالصورة الإلهية^(١) .

فلذلك «نفس العالم»^(٢) التي هي عبارة [عن]^(٣) سيدنا محمد (ص) ، حازت درجة الكمال بتمام الصورة الإلهية في الوجود والبقاء والتنوع في الصور ، وبقاء العالم به .

وكان حال العالم قبل ظهوره (ص) بمنزلة الجسد المسوى بلا روح .

وحاله بعد وفاته : بمنزلة النائم .

وحاله ببعثه (ص) يوم القيامة : بمنزلة الانتباه بعد النوم .

ولما أراد الله بقاء هذه الأرواح على ما قبلته من التمييز : خلق لها أجساداً برزخية تميزت بها عند انتقالها عن أجسادها في الدنيا : في النوم ، وبعد الموت ، والله أعلم .

(*) يعني قبل النفخ فيه .

(١) سيبسط هذا الكلام فيما بعد بسطاً واضحاً .

(٢) لأن العالم كالجسد الواحد : له روح واحد .

(٣) في المخطوطة «من» وهو تحريف .

التنبية الثالث

اعلم : أن الأرض الواسعة^(١) إنما هي أرض عبادتك ، فتعبد الحق « كأنك تراه » في ذاتك من حيث بصرك ، على ما يليق بجلاله تعالى .

وعين بصيرتك تشهد بأنه : ظاهر لها ظهور علم^(٢) ، فتجمع في عبادتك بين ما يستحقه تعالى من العبادة في الخيال^(٣) ، وبين ما يستحقه من العبادة في غير موطن الخيال^(٤) ، فتعبده مطلقاً ومقيداً^(٥) ، وليس هذا لغير هذه النشأة الإنسانية المؤمنة ، التي جعلها الله تعالى حرمه المحرم ، وبيته المعظم .

فكل من في الوجود من المخلوقات : يعبد الله تعالى على الغيب ، إلا الإنسان الكامل ، فإنه يعبد الله تعالى على المشاهدة .

ولا يكمل العبد بالإيمان الكامل ، فإنه النور الذي يزيل كل ظلمة .

فإذا عبده على المشاهدة : رآه جميع^(٦) قواه ، فما قام بعبادته غيره^(٧) ، ولا ينبغي أن يقوم بها سواه .

(١) المذكورة في قوله تعالى : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ أَرْضِي وَاسِعَةً فَأَيُّي فاعبدون ﴾ من سورة العنكبوت ؛ الآية : ٥٦ ، وهو من التفسير الأشاري .

(٢) لا ظهور رؤية .

(٣) أي في خيالك أيها العابد .

(٤) أي في موطن الحقيقة ، وهو موطن الذي يعتقد أنه يشاهد الله جل وعلا حقيقة .

(٥) يعني بما افترض عليك من الفرائض ، وبما تنتقل به ، والله تعالى أعلم .

(٦) من قوله جللا وعلا : « كنت يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها » إلى آخر الحديث القدسي المعروف .

(٧) الضمير يرجع إلى « الله » تعالى ، لأنه هو الذي أمرك سرّاً وجهرّاً ، وهو الفاعل على الحقيقة سبحانه وتعالى .

واعلم أنك إذا لم تكن بهذه المنزلة ، ومالك قدم في هذه الدرجة ، فأنا أدلك على ما يحصل لك به هذه الدرجة العليا ، وذلك أن تعلم أن الرسل - (صلى الله عليهم وسلم) - أعدل الناس أمزجة لقبول رسالات ربهم^(١) تعالى .

وكل شخص منهم قبل من الرسالات الإلهية على قدر ما أعطاه الله تعالى في مزاجه من التركيب .

فلذلك لم يبعث نبي منهم إلا لقوم معينين ، لأنه على مزاج خاص مقصور ، وأن سيدنا محمداً (ص) بعثه الله برسالة عامة إلى جميع الناس كافة . ولا^(٢) قبل مثل هذه الرسالة العامة إلا لكونه على مزاج عام ، يحتوي على مزاج كل نبي ورسول^(٣) .

فمزاجه : أعدل الأمزجة كلها ، ونشأته أقوم النشآت أجمعها .

فإذا علمت هذا ، وأردت أن ترى الحق تعالى على أكمل ما ينبغي أن يظهر به لهذه النشأة الإنسانية ، فألزم الإيمان والاتباع له (ص) ، واجعله مثل المرأة أمامك .

وقد علمت أن الله تعالى لا بد أن يتجلى لسيدنا محمد (ص) في مرآته : أكمل ظهور وأعدله ، وأحسنه لما هي عليه مرآته من الكمال .

فإذا أدركت الحق تعالى في مرآته (ص) : تكون قد أدركت منه

(١) لأنه لا يمكن أن يعي رسالة الله إلا من كان كذلك .

(٢) «لا» بمعنى «ما» ، وقبل : بفتح القاف وكسر الباء وفتح اللام .

(٣) ولذلك كانت رسالته (عليه الصلاة والسلام) أكمل الرسالات ، لأنها حوت جميع ما نزل على الرسل ، وذلك لقوله تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ من سورة المائدة ؛ الآية : ٤٨ وكان هو أكمل الرسل ، وهي قضية لا تقبل الجدل .

ما لم تدركه في غير مرآته (ص) .

ألا ترى - في باب الإيمان - بما جاء به من الأمور التي نسب الحق تعالى نفسه بها على لسان الشرع - بما تحيله العقول - ، ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا ذلك من حيث نظرنا العقلي .

فكما أعطانا بالرسالة والإيمان : ما قصرت العقول - التي لا إيمان لها - عن إدراكها ذلك من جانب الحق تعالى ، كذلك أعطانا ما قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا - عند المشاهدة - عن إدراك ما تجلى في مرآته (ص) : أن تدركه في مرآتها .

وكما آمنت به في الرسالة غيباً : شهدته عند التجلي عيناً^(١) .

فقد نصحتك وأبلغت لك في النصحية ، فلا تطلب مشاهدة الحق تعالى إلا في مرآته (ص)^(٢) .

واحذر أن تشهد النبي (ص) أو تشهد ما تجلى في مرآته من الحق تعالى في مرادك ، فإنه ينزل بك ذلك عن الدرجة العالية .
فالزم الاقتداء به ، والاتباع له (ص) ولا تطأ مكاناً لا ترى فيه قدم نبيك (ص) .

فضع قدمك على قدمه^(٣) إن أردت أن تكون من أهل الدرجات العلا ، والشهود الكامل في المكانة الزلفى ، والله الموفق .

(١) يعني لما آمن المسلم بالله تعالى بالغيب ولم يره ، وعمل له واحبه واشتغل به حباً له وإقامة لشرعه : تجلى له ، فصار كأنه يراه رؤية عين .
وربما رمز الشيخ (رحمه الله تعالى) إل التجلي الحقيقي يوم القيامة ، وفي الجنة ، والله أعلم .

(٢) لأنك لا تستطيع ، ولن تكون مرآة قلبك صافية ، كما هي مرآة قلبه الشريف ، مهما بلغت من الصلاح والتقوى ، فإن الخالق جل وعلا قدر أن تكون مرآة قلبه (عليه الصلاة والسلام) أصفى وانقى المرايا على الإطلاق .
(٣) يعني ابتع آثاره (ص) في كل صغيرة وكبيرة .

التنبية الرابع

اعلم أن الحق تعالى لما تجلى بذاته لذاته بأنوار السبحات الوجهية من كونه عالماً ومريداً ، فظهرت الأرواح المهيمنة بين الجلال والجمال ، وخلق - في الغيب المستور الذي لا يمكن كشفه لأحد من المخلوقين - العنصر الأعظم ، وكان هذا الخلق دفعة واحدة من غير ترتيب سببي ، وما منهم روح يعرف أن ثم سواء ، لفنائته في الحق بالحق .

ثم إنه تعالى أوجد بتجل آخر من غير تلك المرتبة المتقدمة : أرواحاً متحيزة في أرض بيضاء ، وهيمهم فيها بالتسبيح والتقديس ، لا يعرفون أن الله تعالى خلق سواهم .

وكل منهم على مقام من العلم بالله تعالى والحال .

وهذه الأرض خارجة عن عالم الطبيعة ، وسميت أرضاً نسبة مكانية لهذه الأرواح المتحيزة ، ولا يجوز عليها التبديل^(١) ، ولا يجوز كذلك أبد الآباد ، لما سبق في علم الله تعالى .

وللإنسان الكامل في هذه الأرض : مثال ، وله فيهم حظ ، وله في الأرواح [الأولى^(٢)] مثال الآخر ، وهو في كل عالم على مثال ذلك العالم .

ثم إن هذا العنصر الأعظم : له إلفاتة مخصوصة إلى عالم التدوين والتسطير ، ولا وجود لذلك العالم في العين ، وهذا العنصر المشار إليه : أكمل موجود في العالم .

(١) لأن التبديل الذي قاله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْدِلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ﴾ هي أرضنا هذه وسماؤنا ، والله تعالى أعلم .

(٢) في المخطوطة «الأولة» .

ولولا عهد الستر الذي أخذ على أهل هذه الطريقة لبسطنا الكلام فيه ، وبيننا كيفية تعلق كل ما سوى الله تعالى به ، فأوجد ما قال الوارد عند تلك الإلتفاتة : «العقل الأول» ، وقيل فيه «الأول» ، لأنه أول عالم التدوين والتسطير .

وتلك الإلتفاتة ، إنما كانت للحقيقة الإنسانية ، التي لها الكمال من هذا العالم ، فكان المقصود من خلق العقل وغيره إلى أسفل عالم المركز : أسباباً مقدمة لترتيب نشأته - كما سبق في العلم - ومملكته ممتدة ، قائمة القواعد له (ص) ، لأنه عند ظهوره يظهر بصورة الخلافة والنيابة عن الله تعالى ، فلا بد من تقدم وجود العالم - الذي هو مملكته - عليه ، وأن يكون هو آخر موجود بالفعل ، وإن كانت له الأولوية بالقصد .

فعين الحقيقة المحمدية هي المقصودة ، وإليه توجهت العناية الكلية ، فهو عين الجمع والوجود ، والنسخة العظمى ، والمختصر الأشرف الأكمل في مبانيه (ص) .

التنبيه الخامس

إعلم أن الوجود واحد^(١) ، وله ظهور^(٢) ، وهو : العالم^(٣) ، وله بطون ، وهو : الأسماء ، وله برزخ جامع ، فاصل بينهما ، ل يتميز الظهور عن البطون ، والبطون عن الظهور ، وهو : الإنسان الكامل : (ص) .

فالظهور : مرآة البطون .

والبطون : مرآة الظهور .

(١) أي وجود الحق تبارك وتعالى هو الوجود الحق .

(٢) بمعنى مظاهر .

(٣) فوجود العالم ، وهو مخلوق : دليل على وجود الخالق .

وما بينهما فهو مرآة لهما : جمعاً وتفصيلاً .

وإعلم : كما أنه بين ذات الحق تعالى ، وذات الإنسان الكامل مضاهاة ، وبين علمه وعلمه مضاهاة^(١) وأن كل ما فيها مجمل ، فهو فيها مجمل ، وكل ما فيها مفصل فهو فيها مفصل ، فذلك بين القلم ، وروح الإنسان الكامل مضاهاة ، وبين اللوح وقلبه مضاهاة ، وبين العرش وجسمه مضاهاة ، وبين الكرسي ونفسه مضاهاة ، وكل منهما مرآة لما يضاويه .

فكل ما في القلم مجمل ، فهو في روحه مجمل .

وكل ما في اللوح مفصل ، فهو في قلبه مفصل .

وكل ما في العرش مجمل ، فهو في جسمه مجمل .

وكل ما في الكرسي مفصل ، فهو في نفسه مفصل^(٢) .

فالإنسان الكامل : جامع لجميع الكتاب الإلهية ، والكونية .

فكما أن علم الحق تعالى بذاته مستلزم لعلمه بجميع الأشياء ، وأنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته ، فذلك نقول : حق الإنسان

(١) عبر بالمضاهاة لأنها مشابهة : أسمية لا حقيقية ، قال في القاموس : «وضاهاه : شاكله» .

وقال : «والمشاكله : الموافقة» .

وقد قال هو (رحمه الله) : «فالله لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء» اهـ .

والمقصود بالإنسان الكامل : من تخلق بأخلاق الله تعالى ، فالمضاهاة من حيث التخلق والاتصاف .

وقد قال (ص) : «إن الله تعالى ثلاثمائة خلق ، من تخلق بخلق منها دخل الجنة» ولا يوجد أحد جمع هذه الأخلاق جميعاً غيره (ص) ، فهو الإنسان الكامل حقيقة لا شك ولا نزاع ، وهو المقصود عند ابن عربي (رحمه الله تعالى) : والله الهادي إلى سواء المسبيل .

(٢) والإجمال والتفصيل بحسب كل .

الكامل : إذ علمه بذاته^(١) مستلزم لعلمه بجميع الأشياء ، وإنه يعلم جميع الأشياء من علمه بذاته ، لأنه هو جميع الأشياء : إجمالاً وتفصيلاً - « فمن عرف نفسه فقد عرف ربه » - وعرف جميع الأشياء .

وانظر إلى قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ لَكُمُ الْكِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .
فالألف : يشار به إلى الذات الأحدية ، من حيث أنه أول الأشياء .
واللام : يُشار به إلى الوجود المنبسط على الأعيان الوجودية .
والميم : يُشار به إلى الكون الجامع ، وهو الإنسان الكامل^(٢) .
فالحق تعالى ، والعالم ، والإنسان الكامل : ﴿ كِتَابَ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^(٣) .

والله تعالى أعلم .

التنبيه السادس

إعلم أن مقام المحبة أعلى المقامات والأحوال ، وهو الساري فيها .

وكل مقام أو حال قبلها فلها يراد .

(١) الضمير في «بذاته» راجع إلى الإنسان الكامل . والمقصود بالأشياء : الأشياء التي هو خلاصتها ، لا علم كل شيء كما يتبادر إلى الذهن ، إذ علم كل شيء : لله وحده ، وسيفسرها الشيخ فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(٢) وقد بسط الكلام في كتابه «شجرة الكون» فارجع إليه، تراه مبسوطاً هناك وموضحاً .

(٣) ليس هذا تفسيراً للآية الكريمة ، وإنما نوع استنباط فقط ، المراد به : أن الله سبحانه وتعالى خلق العالم ، فوجود الله حق لا ريب فيه ، ووجود العالم : حق لا ريب ، لأن الله أوجده بالفعل ، واستخلص هذا العالم كله في واحد ، هو الإنسان الكامل : وصلى الله على الإنسان الكامل (ص) ، وذلك حق لا ريب فيه ، ومن معاني الكتاب : الفرض ، والحكم ، والقدر : راجع القاموس المحيط ، والله الحمد والمنة .

وكل مقام أو حال بعدها فمنها يستفاد ، لأنه : مقام أصل الوجود وسيده ، ومبدأ العالم وممده^(١) ، وهو سيدنا محمد (ص) : الذي اتخذه الله حبيباً كما اتخذ غيره خليلاً^(٢) .

فمن حقيقة هذا السيد : تفرعت الحقائق كلها : علواً وسفلاً ، فأعطى الله تعالى أعلا المقامات - وهو المحبة - : لأصل الموجودات ، وهو سيدنا محمد (ص) .

وإعلم أن طلب الاتصاف بأوصاف الألوهية حجاب عن التحقق بهذا في الجملة^(٣) كما كان سيدنا محمد (ص) الذي كان من ربه تعالى في القرب «بأدنى من قاب قوسين» ثم أصبح وليس عليه أثر من ذلك ، لأنه : ما ورد عليه أمر لم يكن فيه ، ولا ورد عليه شيء لم يكن في فطرته .

وأما غيره - وهو موسى (ض) - فإنه لما ورد على أمر غريب : ورد عليه أمر أثر فيه^(٤) ، فكان يبرقع من النور الذي كان - على وجهه^(٥) - لأنه كان يأخذ بأبصار الناظرين ، والله تعالى أعلم .

(١) هو إمداد الأصل لفرعه ، كما أن أصل الشجرة له جذوع يشرب منها ويروي الفروع .
فمعنى الامداد هنا : إنه الوساطة (ص) .

(٢) يشير إلى الحديث الصحيح الذي يقول فيه (ص) : «...» وإن الله اتخذني حبيباً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» .

(٣) يعني - والله أعلم - أن من يطلب الاتصاف بأوصاف الألوهية جملة : لا يمكن له ذلك .

(٤) يريد أن يقول : إن سيدنا موسى (ص) أضفى عليه النور وقت المناجاة ، وكانت على الأرض ، وأما سيدنا محمد (ص) فلم يظهر فيه شيء من الأنوار لما رجع إلى الأرض ، لأنها كانت فيه (ص) جبلها الله تعالى فيه . ولذلك قال عمرو بن العاص (رضي الله عنه) : «والله ما ملأت عيني من رسول الله (ص) قط ، ولو طلب مني وصفه ما استطعت» والله تعالى أعلم .

(٥) في الجملة تقديم وتأخير ، تقديره هكذا : «فكان يبرقع على وجهه من النور الذي كان» . والله أعلم .

التنبيه السابع

إعلم أن الإنسان الكامل : كتاب جامع لجميع الكتب الإلهية ،
لأنه نسخة العالم الكبير .

فمن حيث روحه وعقله : كتاب عقلي يسمى بأم^(١) الكتاب .

ومن حيث قلبه يسمى : كتاب اللوح المحفوظ .

ومن حيث نفسه يسمى : كتاب المحو والإثبات .

فهي - الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة - التي - لا يمسه -
ولا يدرك أسرارها ومعانيها - إلا المطهرون - سن الحجب الظلمانية^(٢) .

وما ذكرنا من الكتب ، إنما هي أصول الكتب الإلهية .

وأما فروعها ، فكل ما في الوجود : تنتقش فيه أحكام
الموجودات ، فهي أيضاً كتب إلهية .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

التنبيه الثامن

إعلم أن ربّ الأرباب هو الحق تعالى - باعتبار الاسم الأعظم - ،
والتعين الأول .

هو منشأ جميع الأسماء ، وغاية الغايات ، ومتوجه الرغبات ،
والحاوي لجميع المطالب كلها ، وإليه الإشارة بقول الله تعالى لرسوله
(ص) : ﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ لأنه (ص) مظهر التعين الأول .

(١) أم الشيء : أصله الذي وجد منه ، ومنه قوله تبارك وتعالى : ﴿لَتَنذِرَ أُمِّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
حَوْلَهَا﴾ فإن مكة أصل الأرض ، ومنها دحيث ، فهو (ص) أصل العالم الذي وجد
منه .

(٢) وهذا إقتباس إشاري من الآية الكريمة .

فالربوبية المختصة به^(١) هي هذه الربوبية العظمى .
 وإعلم أن لكل اسم من الأسماء الإلهية : صورة في العلم مسماة
 بـ «الماهية» ، و «العين الثابتة» .
 ولكل اسم منها أيضاً صورة في الخارج مسماة بالمظاهر
 والموجودات الغينية ، وتلك الأسماء : أرباب تلك المظاهر .
 فالحقيقة المحمدية : صورة لاسم «الله» الجامع لجميع الأسماء
 الإلهية ، الذي منه الفيض على جميعها ، فهو تعالى ربه .
 فالحقيقة المحمدية التي هي ترب صورة العالم كلها^(٢) بالرب
 الظاهر فيها ، الذي هو رب الأرباب^(٣) .
 فبظاهاها : ترب ظاهر العالم ، وبباطنها ترب باطن العالم ، لأنه
 صاحب الاسم الأعظم - وله الربوبية المطلقة^(٤) - .

وهذه الربوبية إنما هي له من جهة مرتبته ، لا من جهة بشريته .
 فإنه من هذه الجهة^(٥) عبد مربوب : محتاج إلى ربه^(٦) سبحانه وتعالى .

-
- (١) والاختصاص في هذه الآية الكريمة : في إضافة الاسم الكريم : «رب» إلى كاف
 الخطاب : «ك» ، وهو : اختصاص تكريم له (ص) .
 (٢) ترب : أي تجمع صورة العالم ، قال في القاموس «ورب : جمع» والضمير في «كلها»
 راجع إلى الصورة لا إلى العالم .
 (٣) سبحانه وتعالى ، وقوله (رضي الله عنه) «بالرب الظاهر» الخ : أي جمع صورة العالم كله
 في واحد ، وهو الإنسان الكامل (ص) .
 وقوله : «هو صاحب الاسم الأعظم» أي المختص به .
 وقوله : «وله الربوبية المطلقة» أي الجمع المطلق .
 وقوله فيما بعد : «وهذه الربوبية إنما هي له من جهة مرتبته» الخ كأنه أحسن شيء
 فشرح ما يقصد ، لئلا يذهب وهلك وعقلك إلى شيء آخر غير مقصود له .
 (٤) قوله : «الربوبية المطلقة» : أي الجمع المطلق .
 (٥) الضمير راجع إلي : بشريته (ص) .
 (٦) وهو أيضاً محتاج إلى ربه في الناحية الأولى ، وفي كل شيء .
 وقد أوضح ذلك كله في كتابه «شجرة الكون» أيما أوضح .

التنبیه التاسع

إعلم أن القطب الذي عليه مدار أحكام العالم ، وهو مركز دائرة الوجود - من الأزل إلى الأبد - واحد : باعتبار حكم الكثرة متعدد .

فالنبي في كل عصر هو قطبه^(١) ، وعند إنقضاء نبوة التشريع بإتمام دائرتها ، انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقاً .

فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم ، قائم في هذا المقام ، ليحفظ الله تعالى به هذا الترتيب والنظام ، إلى أن يظهر خاتم لأولياء ، الذي هو خاتم الولاية المطلقة^(٢) ، والله أعلم .

التنبیه العاشر

إعلم أن الحق تعالى تجلى لذاته بذاته ، وشاهد جميع صفاته بكمالاته في ذاته ، وأراد أن يشاهدها في حقيقة تكون كالمرآة ، فأوجد الحقيقة المحمدية التي هي أصل النوع الإنساني في الحضرة العلمية^(٣) ، فوجدت حقائق العالم كلها بوجودها وجوداً إجمالياً ، ثم أوجدتهم فيها وجوداً تفصيلياً ، فصارت أعياناً ثابتة .

فأعيان العالم في العلم والعين^(٤) .

وكمالاتها : إنما حصلت بواسطة الحقيقة المحمدية^(٥) (ص) .

(١) أي قطب ذلك العصر الذي يدور عليه .

(٢) وهو سيدنا عيسى (ص) ، وسيذكره صريحاً فيما بعد .

(٣) أي في علم الله تعالى .

(٤) قوله في العلم والعين : أي ما كان في علم الله ثم ظهر في عالم المشاهدة والعيان .

(٥) لأنه : الأصل الذي منه الإفاضة ، كما قال سابقاً .

التبیه الحادی عشر

[في بيان معاني وصف الشيخ (رحمه الله تعالى) للحقيقة المحمدية (ص) بأنه] (*) الحادث الأزلي والنشأ الدائم .

أما حدوثه الذاتي ، فلعدم اقتضاء ذاته الوجوب^(١) .

وأما حدوثه الزماني : فلكون نشأته العنصرية مسبقة بالعدم الزماني .

وأما أزليته فبالوجود العلمي^(٢) .

فعينه الثابتة في العلم : أزلية ، وكذا بالوجود العيني الروحاني ، لأنه غير زماني ، والفرق بين أزلية الأعيان الثابتة في العلم والأرواح المجردة ، وبين أزلية الحق تعالى ، هو : أن أزليته تعالى نعت سلبي : ينفي افتتاح الوجود عن عدم^(٣) ، لأنه تعالى عين الوجود .

وأزليتها^(٤) هو : دوام وجودها بدوام وجود الحق تعالى^(٥) مع افتتاح وجودها عن عدم^(٦) . لكن وجودها من غيرها^(٧) .

وأما دوامه وأبديته فلبقائه ببقاء موجدته تعالى : دنيأً وأخرى .

(*) من هنا يتضح لنا : أن هذه الرسالة منسوخة ، أو مختصرة من نسخة أخرى للشيخ (رحمه الله تعالى) .

(١) هو يشير هنا (رحمه الله) إلى أن : واجب الوجود هو الله تعالى ، ومعنى «فلعدم اقتضاء ذاته الوجوب» أي أن الذات المحمدية ليست موجودة لذاتها ، وإنما هي موجودة بإيجاد الله تعالى لها : فالواجب الوجود هو الله تعالى ، وحسب .

(٢) يعني في علم الله تعالى .

(٣) يقول أن الله تبارك لا أول لوجوده ، لأن من له أولية فقد سبقه العدم ، وقد ردك هنا إلى كتب التوحيد ، فراجعها لتعرف ما هي الصفات السلبية .

(٤) الضمير راجع إلى الأعيان والأرواح وغيرها .

(٥) لأن الله جعلها كذلك .

(٦) أوجدها من عدم ، وبقاؤها بإبقاء الله تعالى لها .

(٧) وجود هذه العوالم من غيرها وهو الله تعالى ، وليست موجودة بذاتها .

وأما كونه كلمة فاصلة ، فلأنه هو الذي يفصل بين الأرواح
وصورها في الحقيقة ، وإن كان الفاصل ملكاً معيناً ، فإنه بحكمه :
يفصل بينهما .

وكذلك هو «الجامع» بينهما ، لأنه هو الخليفة الجامع للأسماء
ومظاهرها ، فلما وجد هذا الكون الجامع ، ثم العالم بوجوده
الخارجي ، لأنه روح العالم المدبرة له ، والمنصرفه فيه ^(١) .

وإنما تأخرت نشأته العنصرية في الوجود العيني ، لأنه لما كانت
عينه في الخارج مركبة من العناصر المتأخر وجودها عن الأفلاك
وأرواحها وعقولها : وجب أن يوجد قلبه ، لتقدم الجزء على الكل
بالطبع .

وكون هذا الكامل : ختماً على خزانة الدنيا ^(٢) فهو أيضاً ختم
على خزانة الآخرة : ختماً أبدياً ، فيه دليل على أن التجليات الإلهية
لأهل الآخرة : إنما هي بواسطة (ص) ، والمعاني المفصلة لأهلها ،
متفرعة عن مرتبته ، ومقام جمعه أبداً ، كما تفرعت أزلاً ، فما للكامل
من الكمالات في الآخرة : لا نهاية لها ، والله أعلم .

التبیه الثاني عشر

إعلم أن إطلاق الصورة على الله تعالى - عند أهل النظر - ، إنما
هو مجاز لا حقيقة ، إذ لا تستعمل حقيقة ، إلا في المحسوسات دون
المعقولات .

وأما عند المحققين ، فإنها تستعمل في وصف الله تعالى

(١) تصريف امداد ، كما قال سابقاً (رضي الله عنه) : لا تصريف خلق وإيجاد .

(٢) لأنه ختم الرسالات ، فلا رسول بعده (ص) .

وأما في الآخرة فمعروف أنه أوتي الشفاعة العظمى للفصل بين الخلائق يوم القيامة
(ص) .

حقيقة ، لأن العالم بأسره : صورة الحضرة الإلهية : تفصيلاً^(١) .

والإنسان الكامل صورة الحضرة الإلهية جمعاً^(٢) .

قال رسول الله (ص) :

«إن الله خلق آدم على صورته»^(٣) .

فالنشأة الإنسانية : حازت صورة الحضرة الإلهية ، وصورة العالم : لأنه بروحه حاز رتبة الحضرة الإلهية^(٤) ، ورتبة الأرواح الروحانية^(٥) .

وبجسمه : حاز رتبة الأجسام .

فرتبته : حازت رتبة الجمع والإحاطة ، ولهذا قامت حجة الله تعالى على الملائكة ، لاحاطته (ص) بما لم يحيطوا بعلمه^(٦) .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) أي الشكل والهيئة التي أرادها الله تعالى ، لأن الله تعالى خالق : لا بد له من مخلوق ، ورازق : لا بد له من مرزوق ، وقادر : لا بد له من مقدور ، وهكذا ، والعالم كله : مخلوق ، ومرزوق ومقدور ، وما إلى ذلك .

(٢) أي الذي اجتمعت فيه كل الصفات الإلهية التي قدرها الله تعالى له ، فما فصله في العالم : جمعه فيه (ص) مجملاً .

(٣) وقد ذكر ابن الجوزي (رحمه الله تعالى) عدة تفاسير لهذا الحديث في كتابه : «دفع شبه التشبيه» ، فقال :

«والقول الثاني : أن تكون الصورة بمعنى الصفة : تقول : هذا صورة هذا الأمر ، أي صفته ، ويكون خلق آدم على صفته : من الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والسمع ، والبصر ، والإرادة ، فميزه بذلك عن جميع الحيوانات ، ثم ميزه عن الملائكة بصفة التعالي حين أسجد لهم له ، والصورة ههنا معنوية : لا صورة تخاطيط» اهـ .

(٤) لأنه (ص) مخصوص الحضرة الإلهية ، وقوله «رتبة الحضرة» أي الرتبة التي خصه الله تعالى بها .

(٥) الملائكة .

(٦) يقصد - والله أعلم - أنه أعلم من الملائكة ، لأن علمه مستمد ممن علمه تبارك =

التنبیه الثالث عشر

إعلم أن كلاً من الظاهر والباطن : ينقسم إلى قسمين :

باطن مطلق ، وباطن مضاف .

وظاهر مطلق ، وظاهر مضاف .

فأما الباطن المطلق ، فهو : الذات الإلهية وصفاتها ، والأعيان الثابتة في علم الله تعالى^(١) .

والباطن المضاف هو : عالم الأرواح ، فإنه ظاهر بالنسبة إلى الباطن المطلق ، وباطن بالنسبة إلى الظاهر المطلق ، وهو عالم الأجسام .

فلذلك أنشأ الله تعالى : صورة الإنسان الكامل : الظاهرة من حقائق العالم وصوره .

وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى^(٢) ، فلذلك قال : «كنت سمعه وبصره» .

فكما أن هوية الحق تعالى سارية في آدم (ص) كذلك هو^(٣) سار في كل موجود من العالم .

لكن سريانه وظهوره في كل حقيقة من حقائق العالم ، إنما هو بقدر استعداده .

وإعلم أن لكل فرد من الأفراد الإنسانية : نصيب من الخلافة ، به يدير ما يتعلق من أمر نفسه أو غيره ، وهو «سمعه» الذي ورثه من والده الأكبر ، الذي هو الخليفة (ص) .

= ونعالي : علمه وأعطاه ما لم يعط أحداً من العالمين ، ولا حرج على فضل الله .

(١) فيه توضيح لما أجمله وأشكل عليك أيها القاريء الكريم .

(٢) راجع ما ذكره ابن الجوزي سابقاً .

(٣) أي الروح والسر : على الصورة التي قدر الله تعالى .

التبئية الرابع عشر

إعلم أن سيدنا محمداً (ص) : اختص بمقام الجمع ، فجاء بقول الله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ فمقامه جامع بين الوحدة والكثرة ، وبين الجمع والتفصيل ، والتزويه والتشبيه ، بل جامع لجميع المقامات الأسمائية ، فجمع الله تعالى في قوله : ﴿ليس كمثله شيء﴾ بين إثبات المثل ، وبين نفيه في آية واحدة ، بل في نصفها^(١) .

وبسبب هذا الجمع والتزويه والتشبيه ، قال (ص) :

«أوتيت جوامع الكلم»^(٢) .

أي جميع الحقائق والمعارف .

ولهذا جمع الله تعالى له في القرآن جميع ما أنزله من المعاني في كتب الأنبياء (ص) وعليهم ، فدعا أُمته إلى : الظاهر في عين الباطن ، وإلى الباطن في عين الظاهر ، وإلى الوحدة في عين الكثرة ، وإلى الكثرة في عين الوحدة .

وما دعاهم إلى الغيبة [والوحدة وحدها] : إلى المشاهدة والكثرة وحدها^(٣) [والله أعلم] .

(١) استدل الشيخ (رحمه الله تعالى) بهذا على أن الله تعالى جمع في نصف الآية : بين النفي والإثبات ، وإنه من مجمل ما أوتيته (ص) ، وقد أعطاه الله المجمل في مقام الإجمال ، كهذه الآية ، والتفصيل في مقام التفصيل ، كتفصيل قصة موسى في الأعراف والمجمل في مقام المجمل كقصة موسى في سورة النازعات ، والجمع بين التفصيل والإجمال ، كما في قصة موسى أيضاً في سورة طه ، وذلك لأن مقامه (ص) جامع بين الجمع والتفصيل .

(٢) رواه العسكري في الأمثال .

(٣) هكذا هي في المخطوطة ، وبدواً أنها هكذا : «وما دعاهم إلى الغيبة والوحدة وحدها ، ولا إلى المشاهدة والكثرة وحدها» والله أعلم .

التنبية الخامس عشر

إعلم أن الأنبياء (ص) ، وورثتهم (رضي الله عنهم) : خدم (*)
الأمر الإلهي مطلقاً ، سواء كان الأمر موافقاً للإرادة أو مخالفاً لها^(١) ،
بل هم في نفس [الأمر]^(٢) خادمون لأحوال الممكنات ، من حيث
إرشادهم إلى مصالح دينهم ودنياهم ، ومنعهم مما يضر دينهم
ودنياهم .

وهذا الإرشاد والخدمة منهم : لهم^(٣) : إنما هي من مقتضيات
أعيانهم وأحوالهم الثابتة في الحضرة العملية دون وجودهم الخارجي .

فانظر ما أعجب هذا الأمر ، من أن خادماً الأمر الإلهي يكون
خادماً للممكنات ، مع جلالة قدره عند الله تعالى .

والرسل (ص) : خادمو الأمر التكليفي بالحال ، كآتيانهم
بالعبادات والأفعال المثبتة لطريق الحق : ليقتيدي بهم ، وبالقول ،
كالأمر بالإيمان ، والنهي عن الكفر والعصيان ، وبيان ما يثابون عليه ،
ويعاقبون عليه ، وليسوا [بخادمين]^(٤) الإرادة ، إذ لو كانوا خادميها ،
لما منعوا أحداً من فعل ما يتعلق بالإرادة ، بل كانوا يساعدونهم فيه ،
والله تعالى أعلم .

(*) في المخطوطة «خادم» .

(١) ردك في هذا إلى كتب التوحيد ، فأرجع إليها .

(٢) ما بين القوسين ليست في المخطوطة ، ويقتضيها السقام .

(٣) الضمير في «منهم» ، للأنبياء ، والضمير في «لهم» لمن أرسلوا إليهم .

(٤) في المخطوطة «وليسوا بخادماً» ومعنى قوله «وليسوا بخادمي الإرادة» : أن الرسل عليهم
الصلاة : خدم الأمر الإلهي ، يأمرهم الله تعالى بشيء فينفذونه ، لأن وظيفتهم إمتثال
الأوامر وتبليغها للخلق .

وأما الإرادة فتعلقها بالله تعالى : ينفذ أحكامه حسبما يريد هو ، والله تعالى أعلم .

التنبيه السادس عشر

[في معنى قول الشيخ (رحمه الله تعالى): «حكمة فردية في كلمة محمدية» (*)].

إنما كانت حكمة فردية ، لانفراده (ص) بمقام الجمعية الإلهية ، الذي ما فوقه إلا مرتبة الذات الأحدية ، لأنه (ص) : مظهر لاسم الله تعالى الأعظم الجامع للأسماء كلها .

ولأنه أول ما فاض بالفيض الأقدس من الأعيان : عينه الذاتية ، وأول ما وجد بالفيض الأقدس من الأكوان : روحه ، فحصل بالذات الأحدية والمرتبة الإلهية ، وعينه الثابتة الفردية الأولى .

وإعلم أن أول الأفراد الثلاثة : ما زاد عليها ، فهو صادر منها .

وهذه الثلاثة الأفراد المشار إليها في الوجود ، هي :

الذات الأحدية ، والمرتبة الإلهية ، والحقيقة المحمدية ، المسماة بـ «العقل الأول» .

ولما كانت تعطي الفردية الأولى بما هو مثلث الشيء قال (ص) : «حبب إلي من دنياكم ثلاث^(١)» بما فيه من التثليث ، وجعلت المحبة التي هي أصل الوجود ظاهرة فيه ، فقد ذكر النساء ، ثم الطيب ، ثم قال : «وجعلت قرّة عيني في الصلاة» .

(*) وهذا أيضاً من الأدلة على أنه منسوخ من نسخة أخرى .

(١) لفظ «ثلاث» ليست من لفظ الحديث ، إذ لفظ الحديث «حبب إلي من دنياكم : النساء والطيب ، وقرّة عيني في الصلاة» وقالوا : «إن من الدنيا الطيب والنساء ، أما الصلاة فليست من الدنيا» . ولفظ «ثلاث» قال المحدثون : إنها منكورة وليست من لفظ رسول الله (ص) .

والحديث رواه الإمام أحمد ، والنسائي ، والحاكم ، والبيهقي ، وغيرهم .

وإنما حبيب النساء إليه (ص) : لكما شهد الحق فيهن ، إذ لا يشاهد الحق تعالى مجرداً عن المواد أبداً ، فإن الله تعالى بالذات غني عن العالمين^(١) ، ولا نسبة بينه تعالى مجرداً عن المواد .

فإذا كان الأمر من هذا الوجه ممتنعاً ، ولم تكن المشاهدة إلا في مادة : فشهود الحق تعالى في النساء أعظم الشهود وأكمله في حالة النكاح الموجب لفناء المحب في المحبوب .

وأعظم الوصلة الجماع .

وهو نظير التوجه الإلهي على خلقه على صورته ، ليخلفه فيرى فيه مثال صورته .

وكذلك النكاح : يتوجه لايجاد ولده على صورته ، بنفخ بعض روحه فيه - يعني النطفة - ليشاهد عينه في مرآة ابنه^(٢) من بعده ، فصار النكاح المشهود نظير النكاح الأصلي الأزلي^(٣) ، فظاهر صورة الإنسان : «خلق موصوف بالعبودية» ، و«باطنة حق» ، لأنه من روح الله تعالى الذي يدبر ظاهره ويربيه^(٤) ، إذ هو الظاهر بصورته الروحانية ، والله تعالى أعلم^(*) .

التنبيه السابع عشر

إعلم أن سيدنا محمداً (ص) لما خلق عبداً بالأصالة : لم يرفع رأسه قط إلى السيادة^(٥) مراعاة لما تقتضيه ذاته مع العبودية الذاتية ،

(١) في الجملة تقديم وتأخير تقديره : «غني بذاته عن العالمين» .

(٢) أي : ليشاهد الرجل نفسه في ابنه .

(٣) أي : المقدر في الأزل .

(*) في هذا الكلام بعض شرح لبيته المشهورين :

«الرب حق ، والعبد حق» . إلى آخرهما . والله تعالى أعلم .

(٤) لأن بدن الإنسان قائم بالروح : والروح من أمر الله تعالى .

(٥) لم يكن رسول الله (ص) يرفع رأسه تواضعاً لله تعالى .

الحاصلة من التعيين والتقيد ، وحفظاً للأدب مع الحضرة الإلهية .

بل لم يزل ساجداً لحضرته ، متذللاً لربه تعالى ، واقفاً في مقام عبوديته ، ورتبة إنفعاليته حتى أوجد الله تعالى من روحه الأرواح ومظاهرها جميعاً ، لأنه (ص) قال :

«أول ما خلق الله تعالى : نوري^(١) الذي سماه «عقلاً» بقوله :
«أول ما خلق الله تعالى العقل» .

فأعطاه رتبة الفاعلية ، بأن جعله خليفة متصرفاً^(٢) في الوجود العيني ، معطياً لكل من العالم كماله .

فالروح المحمدي : هو : المظهر الرحماني^(٣) الذي استوى على العرش ، فتعم رحمته على العالمين ، كما قال الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .

(١) قال العلامة الشيخ محمد الخضر بن ماياي الشنقيطي في كتابه : «استحالة المعية بالذات» ص ٣٥٣ مانصه :

«... فأول المخلوقات على الإطلاق : النور المحمدي ، لما أخرجه عبد الرزاق بسنده ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال :
«يا رسول الله - بأبي أنت وأمي - أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى ، قبل الأشياء ؟

قال : يا جابر : إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره ... » إلى آخر الحديث .
ثم قال :

«وفي أحكام ابن القطان ، مما ذكره ابن مرزوق ، عن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده ، أن النبي (ص) قال :

كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام ... » وقال في ص ٣٦٨ : أنها - أي أحاديث خلق النور المحمدي - أحاديث صحاح .

(٢) تصرف امداد لا تصرف إيجاد .

(٣) مظهر الرحمة : عملها في مرحوم ، كما أن مظهر القدرة : عملها في مقدور ، وهكذا ، وقول الله تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ لفظها عام ، يشمل كل شيء من العرش إلى الفرش . والله تعالى أعلم .

التنبية الثامن عشر

[قال الشيخ (نفعنا الله تعالى به) (*) :

إعلم أن دحية الكلبي كان أجمل أهل زمانه ، وأحسنهم صورة فكان سبب نزول جبريل على سيدنا محمد (ص) في صورته ، إعلماً من الله تعالى : إنه ما بيني وبينك يا محمد سفير إلا صورة الحسن والجمال ، وهي التي لك عندي .

فيكون ذلك بشرى له حسيماً ، ولا سيما أن أتى^(١) بأمر الوعيد والزجر ، فتكون تلك الصورة الجميلة تسكن منه ما يحركه قهر ذلك الوعيد^(٢) ، والله أعلم .

التنبية التاسع عشر

قال (رحمه الله تعالى) (*) :

وأعجب ما عندنا من العناية الإلهية التي صحت لنا بسيدنا محمد (ص) : إذ كل واحد من الرسل (ص) يحشر جزيء^(٣) الحكم ، لاقرانه بطائفة مخصوصة .

(*) وهذه أيضاً من الدلائل على أن هذه الرسالة مأخوذة من نسخة أخرى كتبها الشيخ ونسخ هذا الناسخ منها ، ولم تصل إلينا نسخة الشيخ (رحمه الله تعالى) .

(١) أي جبريل ، لو أتى بأمر فيه وعيد وزجر ، لا يأتيه ، إلا في صورة دحية الذي هو أجمل العرب على الإطلاق ، حتى قال سيدنا عمر (رضي الله عنه) فيه : «إنه يوسف هذه الأمة» وذلك حتى لا يروع قلب حبيه (ص) .

(٢) لأن عادة الملوك : إذا أرسلوا إلى إنسان بوعيد ، يأتي الرسول وفي وجهه عبوسة وإكفهار ، ولكن جبريل (ع) لم يأت قط إلا في صورة دحية (رضي الله عنه) الذي هو أجمل إنسان في العرب .

(*) وكذلك تلك من الدلائل على أنه مأخوذ من نسخة أخرى .

(٣) أي يحشر معهم للشهادة على قومه الذين أرسل إليهم .

والقطب منا : ليس كذلك^(١) فإنه عام ، جامع لكل من في زمانه من بر وفاجر ، وإن كان أثره عيسوياً أو موسوياً^(٢) ، فلا يقدح ذلك فيه ، فإنه من مشكاة محمدية ، فله المقام الأعم ، وقد نبه عليه رسول الله (ص) بقوله عن طائفة من أمته: « ليسو بأنبياء يغبطهم الأنبياء »^(٣) (ص) ، للبركة المحمدية التي نالتهم من مقامه الأعم .

التنبية العشرون

في بيان المعاني المرادة من قول سيدنا رسول الله (ص) بأن الحق تعالى «وضع يده بين كتفيه ، وإنه أحس ببرد أنامله بين ثدييه ، فعلم ما في السموات وما في الأرض»^(٤) .

إعلم أن الحق تعالى منزّه عن اليد الحسية وأناملها ، وإنما هي

(١) لا يوقف يوم القيامة مثل ذلك الموقف .

(٢) وعيسى وموسى (ص) : رسل الله بالتوحيد الذي جاء به سيدنا محمد (ص) ، إلا أنه يُقال هذا قدمه موسوي : أي فيه صفات من صفات سيدنا موسى ، أو عيسوي فكذلك ، هذا ما عن لي في هذا . وقوله - فيما بعد - فلا يقدح ذلك فيه : قصد - والله تعالى أعلم - أي لا يتفصه إذا قيل : لم كان عيسوياً أو موسوياً ، ولم يكن محمدياً ؟ لأنه (ص) المد لجميع الأنبياء ، فحكم أنه الأصل النوري لهم . والله تعالى أعلم .

(٣) لأن الأنبياء سيكونون مع أقوامهم في عرصات الموقف حتى يسألهم الله هل بلغوا قومهم أو لا ؟ أما هؤلاء فتحت ظل العرش .

(٤) في روح البيان ج ١٥ ص ١٥٤ ما نصه :

«أخرجه الإمام أحمد ، والترمذي ، وقال : حديث صحيح ، وسئل البخاري عنه ، فقال : حديث حسن صحيح» اهـ .

وللحديث روايات ، منها :

«أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال : يا محمد : هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت : لا ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي ، فعلمت ما في السموات وما في الأرض فقال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى ؟ قلت : نعم ، في الكفارات والدرجات ، والكفارات : المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، واسباغ الوضوء =

يد امتنان واصطفاء ، بإفاضة أنوار النبوة والرسالة والولاية على جوهره حتى شاهد ببصيرته وبصره العوالم كلها : أولها وآخرها ، ظاهرها وباطنها ، كلياتها وجزئياتها ، دنيا وآخرى ، ولذلك أخبرنا (ص) بالأوائل والأواخر : «بما كان وما يكون في الدنيا والآخرة» لأن الحضرة الكونية كلها صارت أمام بصيرته وبصره ، حتى أنه كان (ص) «يرى من وراءه كما يرى من أمامه» وإنما خصص وضع السيدين بين الكتفين ، لأن النور الإلهي لا يأتي إلى من خصصه الله تعالى إلا من ورائه .

وأما برد الأنامل التي أحس بها بين ثدييه (ص) ، فهو عبارة عن اللذة التي حصلت له ، بما كشفه الله تعالى له من الأمور الغيبية وظهورها له ، وهذا كله إنما هو بمقتضى مرتبته .

وأما من حيث بشريته ، فقال :

«إني أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله متولي السرائر» وأمثال ذلك من الستر عليه في بعض الأمور ، [إنما هو لأمر عارض^(١)] اقتضاه الحكم الإلهي ، ولذلك قال (ص) : «لست أنسى ، ولكن أنسى لأسن^(٢)» .

= في المكاره ، قال : صدقت ، ومن فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه .

وقال : يا محمد إذا صليت فقل : «اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون ، والدرجات : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، والصلاة بالليل والناس نيام» رواه عبد الرزاق في جامعته ، والإمام أحمد ، وعبد بن حميد ، والترمذي .

(١) هكذا هي في المخطوطة .

(٢) رواه الإمام مالك بلاغاً ، كذا في هامش الأحياء .

التنبية الحادي والعشرون

إعلم أن النبي هو الذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله ،
يتضمن ذلك الوحي : شريعة يتعبد الله تعالى بها في نفسه^(١) ، فإن
بعث إلى غيره كان رسولاً .

فتارة ينزل الملك بالوحي على قلبه .

وتارة يأتيه على صورة حسية من خارج ، فيلقي ما يجاء به على
أذنه فيسمعه .

وتارة على بصره فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من
السمع سواء .

وكذلك سائر القوى الحسية .

وهذا باب قد غلق بسيدنا محمد (ص) ، ولا سبيل أن نتعبد الله
تعالى بشريعة ناسخة لهذه الشريعة^(٢) .

وإذا نزل عيسى (ص) فإنما يحكم بهذه الشريعة المحمدية ،
وهو خاتم أولياء هذه الأمة ، فإن من شرف سيدنا محمد (ص) : أن
الله ختم ولاية أمته بنبي رسول مكرم .

وهو^(٣) (ص) يحشر يوم القيامة مع الرسل : رسولاً ، ومع هذه
الأمة : ولياً تابعاً .

وإلياس كهذا المقام أيضاً .

وأما حالة أنبياء^(٤) أولياء هذه الأمة فهو : كل شخص أقامه الله

(١) لأنه لم يأمره الله تعالى بالتبليغ للناس .

(٢) لأنه : لا رسول بعده (ص) ولا نبي حتى تقوم الساعة .

(٣) يعني : سيدنا عيسى (ص) .

(٤) أي : الذين يحدثون ، بضم الياء وفتح الحاء والذال المشددة : الذين يكلمون ، كما
قال رسول الله (ص) لعمر (رضي الله عنه) .

تعالى في تجل من تجلياته ، وأقام له مظهر محمد (ص) ، ومظهر جبريل (ص) ، وهو يلقي خطاب الأحكام المشروعة ، لمظهر رسول الله (ص) ، فيسمع صاحب هذا المشهد جميع ما تضمنه الخطاب من الأحكام المشروعة الظاهرة في هذه الأمة المحمدية ، فيرى نفسه وقد وعي جميعها ، وعلم صحتها علم يقين ، بل عين يقين ، فأخذ حكم هذا النبي ، وعمل به على بينة من ربه تعالى .

فهؤلاء هم أنبياء أولياء هذه الأمة ، ولا ينفردون بشريعة قط ، ولا يكون الخطاب بها إلا بتعريفهم : أن هذا هو شرع محمد رسول الله (ص) .

وهذا آخر «التنبيهات» نفعنا الله بها آمين
وصلّى الله على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم